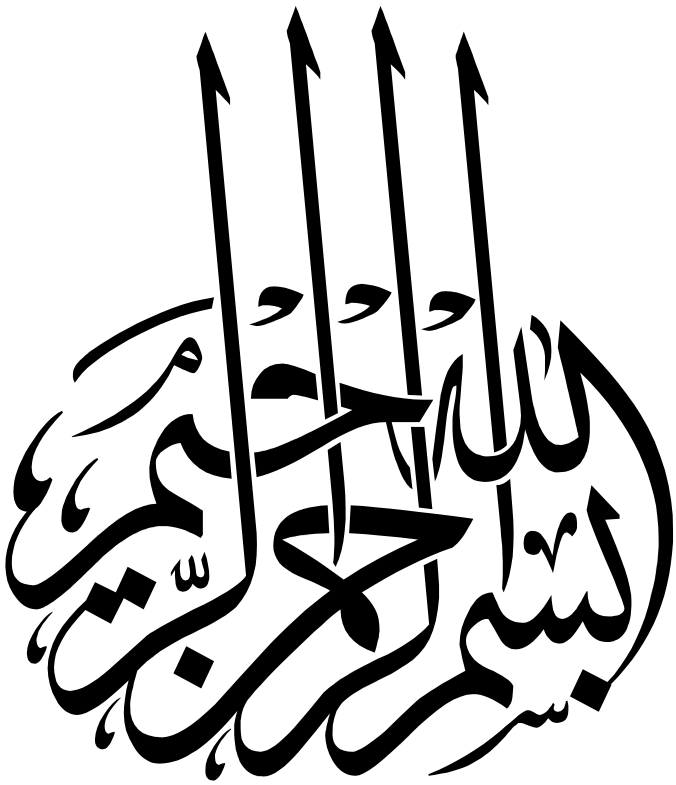
بسم الله الرحمن الرحيم

شرح كتاب

# الفتن وأشراط الساعة

## من صحيح مسلم

◈◈◈

ضوابط في الفتن يحتاجها كل مسلم

ثم كما وعدنا؛ فإنا -إن شاء الله عز وجل- نَختم الكلام عن ضوابطَ في الفتن؛ يحتاجها كلُّ مسلم، وذلك أنَّ الأمر -كما ذكرنا مرارًا- أنّا نعيش في زمنٍ تنوَّعت فيه الفتن، وتكاثرَت فيه الفتن، وأصبحت الفتن على أشكالٍ وألوان، سواءً منها ما يَتعلق بفتن الشبهات أو ما يَتعلق بفتن الشهوات، والمسلم بحاجةٍ عظيمة إلى معرفة كيف يتعامل مع الفتن.

وهناك ضوابطُ كثيرة تُستخلَص من أدلة الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، كنتُ أحب أن أبسطها وأتوسَّع فيها؛ لكن لضيق الوقت واضطرارنا إلى ختم الدرس مبكرًا قبل المغرب فسأعرضها عرضًا بما يَتناسب مع الوقت، وإن شاء الله -عز وجل- سنبسُطها في محاضرةٍ مستقلة مع غيرها من الضوابط.

♦ **أما الضابط الأول في الفتنة: لا تتَّبِع العاطفة، وقيِّدها بالشرع.**

العاطفة -أيها الإخوة- قد تكون عاصفةً بالإنسان؛ تَعصِف به إلى الانحراف عن جادة الصواب، وكثيرٌ ممن تساقطوا في الفتن إنما سقطوا بالعواطف، فالعواطف عواصف.

والعاقل مَن قيّد عواطفه بعقله، وقيّد عقله بالشرع.

الإنسان لا يُطلَب منه أن يكون بلا عاطفة، أن يكون جامد العاطفة؛ فهذا لا يمكن ما دام أنّ الإنسان إنسانٌ، فالإنسان لابد له من العاطفة، لكنّ المطلوب منه أن يُقيِّد العاطفة بعقله الذي رزقه الله -عز وجل- إيَّاه؛ فالعقل قَيْدٌ للعواطف، ولا ينساق وراء عاطفته بما ترُدُّه العقول.

فبعض الناس يَدخل في الفتن دخولاً لو أَعْمَل عقله لردَّها؛ فضلًا عن أن يَعرف الشرع في المسألة.

والعاقل -أيضا- يُقيّد عقله بالشرع؛ فإذا وقع في عقله شيءٌ رَجَعَ إلى الشرع ووَزَنَ عقله بالشرع، لأنّ المعلوم عند المسلمين أنّ الشرع لا يأتي بما يخالف العقل؛ بل النقل الصريح موافقٌ للعقل الصحيح، العقل السليم يوافق النقل.

ولذلك؛ إذا وقع في عقلك شيءٌ فاعرضه على النقل الصحيح؛ فإن وافق النقل فاعْلم أنه خير، وإن خالف النقل فاعْلم أنه مرض لا خير فيه، اِبْتعد عنه.

ولذلك؛ نحن نقول -يا إخوة-: ما بدى للإنسان من أمورٍ تخالف النقل لا تخلو من حالين:

1. إما أن يكون النقل غير ثابتٍ؛ فهو مكذوبٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2. وإما أن يكون العقل مريضًا.

أمّا أن يكون النقل ثابتًا -كأن يكون مثلًا في الصحيحين أو في أحدهما- ويخالفه العقل السليم؛ فلا وكلَّا!

فالذي يأتي إلى حديثٍ في الصحيح ويقول هذا الحديث أرُدُّه لأنّ عقلي لا يَقبله، نقول له: إنّ عقلك مريض، يحتاج إلى علاج، وعلاجه: أن تُلازم العلماء الربانيين أهل السنة، فتتعلَّم منهم تعظيم السنة ومعانيها، أمّا أن تتسلَّط على السنة ولستَ من فُرسانها فهذا داءٌ لك ولغيرك.

فالشاهد يا إخوة؛ أنه في الفتن لابد من عدم اتِّباع العواطف، وتقييدها بالعقل، وتقييد العقل بالشرع.

❖ **الضابط الثاني: إيَّـاك والعجلة، والْـزمِ الأنـاة.**

لاحظوا -يا إخوة-؛ أنا أذكر في الضابط سبب الوقوع وسبب السلامة؛ قلنا في الأول: لا تتبع العاطفة وقيِّدها بالشرع؛ سبب الوقوع في الفتنة: اتباع العاطفة، وسبب السلامة: تقييد العاطفة بالشرع. نقول هنا: إيَّاك والعجلة والزمِ الأناة. العجلة: سببٌ للوقوع في الفتنة، والأناة: سببٌ للسلامة من الفتنة.

يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦]، قال المفسرون: التبيُّن: هو التعرُّف والتفحُّص، من التثبيت والأناة وعدم العجلة، والتبصُّر في الأمر الواقع والخبر الوارد، يعني أنّ الله عز وجل يأمرنا بالأناة وعدم التعجل؛ بل لابد من التبصُّر فيما يقع.

قال الشوكاني في قوله -عز وجل-: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ [القيامة: ٢٠]: "﴿كَلَّا﴾: للرّدع عن العجلة، وللترغيب في الأناة، فنحن منهيُّون عن العجلة مُرغَّبون في الأناة.

وروى الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأناة من الله، والعجلة من الشيطان» حسّنه جمعٌ من أهل العلم؛ منهم الشيخ ناصر الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الشُرَّاح: «العجلة من الشيطان» أي أنّ الحامل عليها الشيطان بوسوسته، لماذا؟ قالوا: لأن العجلة تمنع من التثبّت والتبصُّر، ومن لم يتثبّت وقع في الخطايا، فالعجلة من الشيطان، وذلك من كيد الشيطان ووسوسته.

وروى الإمام مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لِأشجِّ عبد القيس: «إنّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحِلْم والأناة».

قال النووي: "أما الحِلم فهو: العقل، وأما الأناة: فهي التثبُّت وترك العجلة"، فهما خصلتان يحبهما الله؛ العقل والتثبت وترك العجلة.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح صفتيْ الحلم والأناة وأنّ الله يحبهما؛ قال: "وضدهما الطيش والعجلة، وهما خُلقان مذمومان مُفسدان للأخلاق والأعمال"[1].

قال العلماء: العجلة مذمومةٌ في الغالب ولا تأتي بخير، إما في ذاتها وإما فيما يترب عليها.

ولذلك؛ المطلوب من المسلم في كل حال: الأناة، لكنه عند الفتنة يلزم ذلك أكثر.

### ❖ الضابط الثالث: إيَّاك والجهل، واحرصْ على العلمِ الشَّرعيِّ.

احذر الجهل واحرص على العلم الشرعي، فإنّ الفتن مِن بضاعة الشيطان، وبضاعة الشيطان لا تَروج إلا مع الجهل، أمّا مع العلم فلا تَروج. ولذلك جاءت النصوص مبيّنةً فضل العلم؛ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [ فاطر: ٢٨]، قال العلماء: "حصَر الله الخشية في العلماء لبيان أنّ النفع

(1) [زاد المعاد: 531 ].

الحقيقي إنما يكون للعلماء"، النفع الكامل والخشية الكاملة التي تدلُّ على الخير وتَمنع من الشر إنما تكون للعلماء.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- حثّ على العلم في أحاديث كثيرة؛ منها: قوله -صلى الله عليه وسلم-: «مَن سلك طريقا يلتمس به علمًا؛ سهَّل الله له طريقا إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم؛ رضًا بما يَصنع، وإنّ العالِم لَيستغفر له من في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالِم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، ألا إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا؛ وإنما ورَّثوا العِلْم، فمَن أخذه أخذ بحظٍ وافر»[1].

وفضّل النبي -صلى الله عليه وسلم- العالم على العابد -كما سمعنا في الحديث- قال: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب».

وفي الحديث الآخر ذُكِرَ للنبي -صلى الله عليه وسلم- عالم وعابد؛ فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»[2]؛ لأن العالِم لا تَروج عليه بضاعة الشيطان، ومَن تعلَّم أَمِن -بفضل الله- مكايد الشيطان، والعلم الشرعي سلاحٌ للمسلم يَطرد به الشيطان، فهو يُبعِد الشبهات ويُضعِف الشهوات، يُبعِد الشبهات عن القلب، ويُضعِف الشهوات.

ولذلك؛ قال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

اِعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّ أفضلَ الْمِنَنْ  عِلمٌ يُزيـــلُ الشَّكَّ عَنْكَ وَالدَّرَنْ

(1) أخرجه الترمذي في سننه ( 2682)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة. في سننه. وأبو داود (3641)، كتاب: العلم، باب: الحث علىٰ طلب العلم. من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (6297).

(2) أخرجه الترمذي في سننه (2685)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة. من حديث أبي أمامة الباهلي. وصححه الألباني في صحيح الجامع ( 4213).

اعلمْ هُديت أنّ أعظم النِّعم عليك أيها المسلم: علمٌ، ما صفته وما شأنه؟ يزيل الشك عنك، فيَمنع الشبهات والدّرَن -أي الوَسَخ- فيُضعف الشهوات، فلا تصرف الشهوة إلا في مباح. فالعلم من أعظم أسلحة المسلم.

❖ **الضابط الرابع: عند الاختلاف: إيَّـاك والصِّغار، والْــزم الكبار.**

إذا وقع الاختلاف في أمرٍ، ولا سيّما في الأمور التي قد تتعلَّق بها الفتن؛ فإياك والصغار ولو كانوا من طلاب العلم، والزم الكبار من العلماء؛ فإنّ صغار السن والشباب فيهم حِدَّة الشباب، وحرارة الشباب، وعجلة الشباب، فمهما بلغ الشاب من العِلم تبقى حرارة الشابِّ فيه، وتبقى عجلة الشباب فيه، أمّا الكبار فقد جرّبوا الدنيا، وعَرَفوا أحوالها وأسرارها، وانكسرت فيهم حِدَّة الشباب التي كانت، فلا يَصدُرون إلا عن رأيٍ قد أَحكموه وعِلمٍ عَلِموه، فهم عن العلم يَصدرون وعن الحكمة يَفهمون، وهذا لا يَتيسَّر للشباب.

وهذا ليس فيه قَدحٌ في الشباب؛ وإنما فيه بيان الحال؛ مِن أنه إذا حصل الاختلاف واختلف الناس فعليك بالكبار.

فمثلًا؛ لو اختلف الناس في مسألة فقال بعض الناس: هذا جائز، وقال بعض الناس: هذا محرم، يعني: مثلًا الكلام على الحُكَّام على المنابر، وسبّ الحكام على المنابر، مثلًا: لو أنّ بعض الناس من طلاب العلم قال: هذا جائز وهو ومِن الجهاد، وقال بعض العلماء: هذا محرَّم وقد ذمَّه السلف والنصوص فيه ظاهرة؛ فعليك بالكبار؛ فإنهم أهل بصيرة وحكمة.

وهناك آثار كثيرة عن السلف سنذكرها إن شاء الله عند التفصيل.

❖ **الضابط الخامس: إيّاك والأمور الحادثة، والْـزَمِ السُّنة.**

إذا جاء الأمر فانظر فيه؛ هل هو قديم؟ هل هو على ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه؟ (..كل ما خالف هدي رسول الله وهدي صحابة رسول الله)[1] فهي بدعة من البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، لا تقود إلى خير؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة وإنما تقود إلى ضلال.

وقد روى أبو داود عن يزيد بن عميرة أنّ معاذ بن جبل ﷺ كان لا يجلس مجلسا للذكر حين يجلس (أي للتعليم) إلا قال: "الله حَكَمٌ عدْل، هلك المرتابون"، فقال معاذ بن جبل يوما: "إنّ من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويُفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك قائلٌ أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأتُ القرآن؟ ما هُم بمُتبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتُدع؛ فإنّ ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق". قال: قلتُ لمعاذ: ما يدريني -رحمك الله- أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: "بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها ما هذه؟ ولا يثنيك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا"[2].

يعني: إنّ وراءكم فِتنًا يكثر فيها المال بين أيدي الناس، "ويُفتح فيها القرآن"؛ أي أنّ العلم يُعطى للناس، فلا يختص به قلة، بل يكثر؛ فيتعلم النساء والرجال، الصبيان والكبار، العبيد والأحرار، فيكون ماذا؟

قال ﷺ -لا إله إلا الله! هذا ما كان في زمنهم، لكنه والله وقع- قال ﷺ: "فيُوشك قائلٌ أن يقول ما للناس لا يتَّبِعوني وقد قرأتُ القرآن؟" ما لهم لا يُرتِّسوني؟! ما لهم لا يجعلونني رأسًا؟ ما لي أكون في الصف ويُقدَّم غيري؟ مِن كثرة من يتكلم بالعلم.

---

(1) انقطاع التسجيل.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب السنة (4611). قال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح الإسناد موقوف.

ثم يقول: "ما هم بمتبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره"؛ ما دمتُ على هذا العلم فهذا العلم يعرفه الناس، ويوجد علماء أعلم مني وأنا سأكون في الصف، لكن متى أُصبح رأسًا؟! إذا ابتدعتُ شيئًا جديدًا علَّمته للناس ودعوتُ الناس إليه.

يقول ﷺ: "وأُحذِّركم زيغة الحكيم!" أُحذركم زيغة الحكيم: أُحذركم زلة الحكيم، وقد يزِل الحكيم لكن لا يزِلّ الحكماء، قد يزِلّ الحكيم نعم، لكن لا يزِلّ كل الحكماء.

"وأحذركم زيغة الحكيم فإنّ الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافقون كلمة الحق"، قال الراوي: "قلتُ لمعاذٍ: ما يُدريني -رحمك الله- أنّ الحكيم قد يقول كلمة الضلالة؟!" هو حكيم، ما الذي يدريني أنها ضلالة؟ وأنّ المنافق قد يقول كلمة الحق؟ المنافق مُبغَض فإذا علمتُه كيف أعرف أنه قال كلمة الحق؟ والحكيم متَّبَع، فإذا قال كلمة كيف أعرف أنها زيغة؟

قال معاذ ﷺ: "بلى؛ اجتنب من كلام الحكيم المشتَهِرات؛ التي يقال لها: ما هذه؟"[1] اجتنب من كلام الحكيم ما يأتي به من عجائب تخالف ما يأتي به الحكماء؛ الغرائب المُحدَثات التي يُحْدِثها، فيُقال: فلان قال قولا، ما هذه المقولة؟!

"ولا يُثنِيَنَّك ذلك عنه"، إذا عرفتَ أنه حكيم؛ وأنه من علماء السُّنة الربانيين، وقال كلمةً فخالَف فيها الحكماء فاحذر هذه الكلمة! لكن لا تُسقطه، "فإنه لعله أن يراجع".

ووالله إنّ علماء السّنة يراجعون، وعلماء البدعة يُكابرون.

العلماء الذين هم علماء على السنة إذا أخطأ الواحد منهم وعلِم أنه أخطأ رجع مهما كان كبيرًا، وأما من يكون على البدعة فإنه يكابر في الغالب ويدخل في الحديث: «إنّ الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدعها».

قال: "وتلَقَّ الحق إذا سَمِعْتَه؛ فإن على الحق نُوراً".

---

(1) وفي لفظ لأبي داود: المشبهات مكان المشتهرات. (السنن/ كتاب السنة: حديث 4611).

وفي رواية؛ قال ابن مسعود عندما سأله الراوي عن: ما يدريه إذا قال الحكيم كلمة الضلالة؟ قال: "بلى؛ ما تشابه عليك من قول الحكيم حتى تقول: ما أراد بهذه الكلمة؟" يعني إذا جاء بالغريب الذي يخالف كلام العلماء علماء السنة علماء الخير؛ فاجتنب هذه الزيغة.

وروى أبو داود أنّ رجلا كتب إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدَر، فكتب -وهذه وصية عظيمة يا إخوان؛ وصيةٌ عظيمة من هذا الخليفة العادل الراشد الموفَّق صاحب السّنة- قال:

"أما بعد؛ أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتّباع سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، وترك ما أحدث المُحْدثون بعدما جَرت به سنته، وكُفُوا مُؤُونته، فعليك بلزوم السنة؛ فإنها لك بإذن الله عصمة". والله! عصمة من الفتن، وعصمة من الزيغ، وعصمة من الضلالة.

"ثم اعلم؛ أنه لم يبتدع الناس بدعةً إلا قد مضى ما قبلها ما هو دليلٌ عليها أو عبرةٌ فيها؛ فإنّ السنة إنما سنّها من قد علم ما في خلافها".

"السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها"؛ فلا يتطرق الأمر أنّ الذي قال السنة قد يكون لم يتنبّه لهذا الأمر، لأن بعض الناس -مثلًا- قد يقول: هذه البدعة يمكن لم يتنبه لها السابقون، السنة سنّها من يعلم ما في خلافها، ولو كان في خلافها سنة لذكره صلى الله عليه وسلم.

قال: "فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علمٍ وقفوا وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا - يعني كَفُّوا عن هذه المحدثات-، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه -وهذا لا يكون- ولئن قلتم إنما حدَث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم -يعني ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم، قلنا: ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم- ورَغِب بنفسه عنهم؛ فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي.."[1].

(1) أخرجه أبو داود في سننه (3998)، كتاب: السنة، باب: لزوم السنة.

وهذه وصيةٌ عظيمةٌ جليلة ينبغي على طلاب العلم أن يتنبّهوا لها، وينبغي على كل مسلمٍ أن يَعلمها ويفهمها، فهي خلاصة عظيمة للنصوص ولِما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

❖ **الضابط السادس: إيَّــاك أن تقترب من الفتنة، وابتعد عنها.**

القرب من الفتنة سببٌ للوقوع فيها، والبعد عنها سببٌ للسلامة منها، لا تقترب من الفتنة بأيِّ أنواع الاقتراب ولو كان الاقتراب يسيرًا.

وقد مر بنا ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستكون فتنٌ القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن يُشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً فليَعُذ به».

وعند مسلم عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تكون فتنةٌ النائم فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظان فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الساعي».

وعن أبي بَكرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنها ستكون فتنٌ، ألا ثمَّ تكون فتن؛ القاعد فيها خيرٌ من الماشي فيها، والماشي فيها خيرٌ من الساعي إليها، ألا فإذا نزلتْ أو وقعتْ: فمَن كان له إبل فلْيلحق بإبله، ومن كانت له غنم فلْيلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فلْيلحق بأرضه»، قال: فقال رجلٌ: يا رسول الله! أريتَ مَن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «يَعمَد إلى سيفه فيدقُّ على حدِّه بحجر، ثم لينجو إن استطاع النجاة، اللهم هل بلَّغت؟ اللهم هل بلَّغت؟ اللهم هل بلَّغت؟»، قال: فقال رجلٌ: يا رسول الله، أريتَ إن أُكرهتُ حتى يُنطَلق بي إلى أحد الصفين أو احدى الفئتين فضربني رجلٌ بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار».

هنا -يا إخوة- تحذيرٌ شديدٌ من الاقتراب من الفتن بأيِّ أنواع الاقتراب، ولذلك: النائم فيها خير من اليقظان -المضطجع وهو يقظان-، النائم هو الذي لا يعلم عن الفتنة لكنّ لها أثرًا في قلبه،

فالأثر في القلب، هذا قريبٌ من الفتنة بقلبه، والنائم خيرٌ من اليقظان؛ لأن اليقظان قريبٌ من الفتنة بسمعه.

واليقظان خيرٌ من القاعد؛ لأن القاعد قريبٌ من الفتنة ببصره وسمعه.

والقاعد خيرٌ من القائم؛ لأنّ القائم قريبٌ من الفتنة أكثر بسمعه وبصر.

والقائم خيرٌ من الماشي؛ لأن الماشي اقترب من الفتنة بالسمع والبصر والمشي. وسبق أن ذكرنا أنّ للماشي تفسيرًا آخر: وهو الذي يمشي مع أهل الفتنة لغرضٍ غير الفتنة كالتجارة مثلا.

الماشي خيرٌ من الساعي؛ لأنه يسرع من الفتنة، فاقترابه أكثر.

ثم بيّن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنّ المسلم ينبغي عليه أن يبتعد عن الفتنة، إن كانت له إبل في الصحراء (في البر) فليلحق بإبله؛ يبتعد عن الفتنة، يذهب مع الإبل هناك، ومن كانت له غنم بعيدة عن المدينة فليلحق بها، ومن كانت له أرض (مزرعة) بعيدة عن مكان الفتنة فليذهب إليها.

فإن لم يكن له شيء يذهب إليه، ماذا يصنع؟! يُكسّر جميع أسباب الفتنة، فإن كانت الفتنة فتنة قتال كَسَر السيف؛ كسّر آلة القتال ويبقى في بيته، وإن كانت الفتنة فتنة كُتب ابتعَد عنها، وإن كانت الفتنة فتنة أشرطة ابتعَد عنها. فالبعد عن الفتنة من أعظم أسباب السلامة.

وقد مر معنا قريبا أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في فتنة الدجال: «من سمع به فلينأ عنه» هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وإسناده صحيح.

❖ **الضابط السابع: منعُ الفتنة أسهل من رفعها.**

وهذا -يا إخوة- متعلقٌ بالذي قبله؛ البعد عن الفتنة حتى لا تقع في القلب هو المتعيِّن؛ لأنه كما يقول الفقهاء: المنع أسهل من الدفع. ما هو المنع؟ المنع: منع الشيء قبل وقوعه. والدفع: رفع الشيء بعد وقوعه. ومنع الشيء قبل وقوعه أسهل، وهذا متعلقٌ بالماضي.

كما مر معنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "إنّ الفتنة إذا وقعت صعب على الحكماء إطفاؤها"؛ فالفتنة تُطفأ قبل الوقوع، فإذا وقعتْ فإنه يَصعُب التخلص منها.

❖ **الضابط الثامن: إحـذر الهوى عندما تأخذ بالفتوى، وخُـذ بما أضاءه الدليل.**

إيَّاك أن تأخذ الفتوى بهواك، فبعض الناس لا يسأل عالمًا إلا إذا علِم أنه يقول ما يريد.

وأذكر لكم أنّا سألنا شابًّا وقع في فتنةٍ من الفتن، وهو في الرياض، فقلنا له: لِمَ لمْ تذهب للشيخ صالح الفوزان -مثلا- أو الشيخ عبد العزيز آل الشيخ؟ قال: الذي عندهم معروف، هو لا يريد أن يسمع من أمثال هؤلاء، وهذا لا شك أنه سببٌ للوقوع في الفتنة.

بعض الناس إذا أراد أن يستفتي -مثلًا- في مسألة من المسائل، يبحث مَن يقول بالقول الذي يريده؛ فإذا سمع ذهب وجلس عنده؛ وإذا سمعه، قال: أفتاني عالم.

بعض شبابنا الذين يذهبون إلى العراق مثلًا -ونحن نقول: لا يجوز الذهاب إلى العراق- إذا أراد أن يخالف والدَيه ويَذهب؛ يسأل مَن مِن المشايخ يقول: الجهاد في العراق فرض عين؟ فيقال له: فلان نسمع يقول بهذا؛ فيذهب إليه ويجلس عنده؛ فإذا سمعه ذهب وطار، ويظن أنه برئت ذمته بهذا، والله ما برئت! لأنه ما أخذ الفُتيا بطلب الحق، وإنما أخذ بالهوى.

وهذا أمرٌ ينبغي أن يُتنبَّه له، خذ بما أضاءه الدليل، تجرَّد؛ لِيعْلم الله من قلبك أنك إنما تريد الحق.

يا أخي! أنت لا تتعامل مع الناس؛ الناس تغشهم، تُظهِر لهم خلاف ما في قلبك، أنتَ تتعامل مع من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو -سبحانه- الذي سيسألك عن عملك، فخُذْ من الفتاوى ما أضاءه الدليل.

❖ **الضابط التاسع: إنْ كنتَ عاميًّا: فلا تأخـذ بالتَّشهي، وقلِّـد الأعلَم.**

الذي قبله: إن كنتَ تعلم الدليل وتعرف الدليل فخذ بما أضاءه الدليل، وإن كنتَ عاميًّا لا تُميز الأدلة فإياك والتّشهي! إياك أن تأخذ من الفتاوى تشهيًّا؛ فتقول: فلان فتاواه سهلة فأنا أسأله، فلان الحرام عنده قليل فأنا أسأله، وإنما يجب عليك أن تقلِّد الأعلم؛ قال العلماء: "مَن لم يعرف الدليل وجب عليه أن يقلِّد أعلم مَن في البلد".

وليس الناس سواء، يأتي لطالب علمٍ مثلي ويزنه بالشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله أو بالشيخ صالح الفوزان أو بالشيخ صالح آل الشيخ، والشيخ صالح اللحيدان، وغيرهم من العلماء الكبار، وغيرهم كثيرٌ والحمد لله، ويوازن بيننا؛ لا، ويقول: أنا قلدتُّ شيخًا وأنا عاميٌّ إنما عليَّ التقليد، نقول له: لا! لا يجوز لك ذلك، يجب عليك أن تقلد الأعلم.

فإذا قلتُ أنا قولًا -وأسأل الله ألا يقع- وقال الشيخ عبد العزيز آل الشيخ قولًا: ما تبْرأُ ذمتك بأن تأخذ بقولي، وتقول: أنا عاميٌّ وأقلِّد شيخًا..لا! يجب أن تقلِّد الأعلم وهو الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله، فشبابنا -هنا- الذين يقولون: نحن عوام ما نعرف الدليل سمعنا شيخًا في القناة الفضائية الفلانية يقول كذا واتبعناه، نقول: والله ما تبرأ الذِّمم! وهذا سبب وقوعكم في الفتن.

عندنا -الحمد لله- علماء كبار معروفون؛ يجب أن تقلِّد الأعلم، والأعلم عندنا هنا في البلد -الآن- هو الشيخ: عبد العزيز آل الشيخ، وهو الذي نصّبه وليُّ أمْرنا -وفقه الله- للفُتيا، فتُقلِّد الشيخ عبد العزيز آل الشيخ إذ ذاك في المسائل الحادثة الواقعة.

فإذا الناس قالوا كذا وناس قالوا كذا؛ فانظر من فيه الأعلم وخُذْ بقوله، الأعلم معروف؛ الأعلم: هو صاحب التوحيد، المتمسِّك بالسنة، الذي شهد له أهل السنة.

فإن كنتَ عاميًّا: فإياك والتّشهي وقلِّد الأعلم.

❖ **الضابط العاشر: إيَّاك والتقلُّب، واثبُتْ على الدِّين بنور القرآن والسنة.**

إيَّاك والتقلب؛ أن تصبح بحالٍ وتمسي بحالٍ، واثبُتْ على الدين بنور القرآن والسنة.

والسلف يقولون: "مَن ترك السّنة أكثر التنقُّل"، فاثبُتْ على الدّين، وذلك بالأخذ بالقرآن والسنة على ضوء فهم خير الأمة؛ سلف الأمة.

وقد مر معنا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في فتنة الدجال: «عباد الله، اُثبتوا»، أي اثبتوا على الإسلام. وقد ذكرنا -أيها الإخوة- أنّ الثبات على الإسلام يكون: بسؤال الله الثبات، وبالعلم، وبالعمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "إنّ الله فَطَرَ عباده على الحقّ، فإذا لم تَسْتَحِلِ الفطرة شاهدَتِ الأشياءَ على ما هي عليه، فأنكرَتْ منكرَها وعَرفَتْ معروفها؛ قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الحق أبلج لا يخفى على فَطِن"، فإذا كانت الفطرة مستقيمةً على الحقيقة منوَّرةً بنور القرآن؛ تجلَّتْ لها الأشياء على ما هي عليه في تلك المزايا، وانتفتْ عنها ظلمات الجهالات؛ فرأتِ الأمورَ عيانًا مع غيبها عن غيرها"، قال: "وفي السنن والمسند وغيره؛ عن النواس بن سمعان عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا؛ وعلى جنبَتَي الصراط سُوران؛ وفي السُّورين أبوابٌ مفتّحة؛ وعلى الأبواب سُتورٌ مُرخاة، وداعٍ يدعو على رأس الصراط، وداعٍ يدعو من فوق الصراط؛ والصراط المستقيم: هو الإسلام، والسُّتور المُرخاة: حدود الله، والأبواب المُفتَّحة: محارم الله، فإذا أراد العبد أن يَفتح بابًا من تلك الأبواب ناداه المنادي: يا عبد الله! لا تفتحه؛ فإنك إنْ فتحته تَلِجْهُ، والداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كلِّ مؤمن»؛ فقد بيَّن في هذا الحديث العظيم -الذي مَن عرفه انتفع به انتفاعًا بالغًا إن ساعده التوفيق، واستغنى به عن علوم كثيرة- أنّ في قلب كلِّ مؤمن واعظًا" اهـ. وهذا أمرٌ عظيم، اُثبت وتمسَّك بالقرآن والسنة تَنجلي لك الأمور.

ولذلك؛ مرّ معنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في الحديث: «أنّ الدجال مكتوبٌ بين عينيه كافر يقرأها كلُّ مؤمنٍ قارئ وغير قارئ»، أنّ المؤمن تنجلي له الأشياء ويتبيَّن له ما لا يتبيَّن لغيره، الدجال مع عظيم فتنته وما معه من مخاريق؛ المؤمن يتبيَّن له ما هو مكتوبٌ بين عينيه وأنه كافر، وهذا أمرٌ عظيم.

❖ **الضابط الحادي عشر: لا تُنازع النصوص بما تريد، واجعل ما تريد على وفق النصوص.**

كثيرٌ ممَّن يَتساقطون في الفتن لا يُسلِّمون للنصوص، وإن ظهر منهم تديُّن؛ بل يردُّون النصوص لمُراداتهم، وقد قال الله -عز وجل-: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ، وقال الله -عز وجل-: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال الإمام الشافعي: "أجمع الناس على أنّ مَن استبانتْ له سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن له أن يَدَعَها لقول أحدٍ مِن الناس".

❖ **الضابط الثاني عشر: إحـذر الفُرْقة، والْـزم الجماعة.**

قال الله -عز وجل-: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان قال: "كان الناس يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخير وكنتُ أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنّا كنا في جاهليةٍ وشر، فجاءنا الله بهذا الخير؛ فهل بعد هذا الخير مِن شرّ؟ قال: «نعم»، قلتُ: وهل بعد ذلك الشرّ مِن خير؟ قال: «نعم؛ وفيه دَخَن»، قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَهدون بغير هديي، تَعْرِفُ منهم وتُنْكِر»، قلتُ: فهل بعد ذلك الخير مِن شرّ؟ قال: «نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم، مَن أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلتُ: يا رسول الله! صِفْهم لنا، فقال: «هم مِن جِلْدتنا ويَتكلمون بألسنتنا»، قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تَلزَم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ

ولا إمام؟ قال: «فاعْتزِل تلك الفِرق كلها؛ ولو أن تَعَضّ بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[1].

❖ **الضابط الثالث عشر: إيَّـاك والظُّلم والشرَّ والعذاب، والْـزَم العدل والخير و الرحمة.**

إياك والظلم، إياك أن تكون ظالمًا، واحذر ما فيه ظلم، وإياك والشر، واحذر ما فيه شر، وإياك والعذاب، واحذر ما فيه عذاب، والزم العدل وأهله، والخير وأهله، والرحمة وأهلها؛ فإنّ الخير والعدل تكون عندهما الشريعة.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "الشريعة عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، ومصالحُ كلها، وحكمةٌ كلها، فكل مسألةٍ خرجتْ مِن العدل إلى الجَور، ومِن الرحمة إلى ضدِّها، ومِن المصلحة إلى المَفسدة، ومِن الحكمة إلى العَبَث؛ فليستْ مِن الشريعة في شيءٍ وإن أُدْخِلَتْ فيها بتأويل"[2].

الشريعة ما جاءتْ إلا بالعدل، فإذا جاءتك فتنة سترى فيها الظلم؛ فاحذرها، سترى فيها الشر لك وللمسلمين؛ فاحذرها، سترى فيها العذاب لك وللمؤمنين؛ فاحذرها، والزم جانب العدل، والزم جانب الخير، والزم جانب الرحمة، ففيه الشريعة والمصلحة.

❖ **الضابط الرابع عشر: لا تتطلَّب الفتن، واستعذ بالله من شرها.**

أعني؛ لا تتطلَّب الفتن بقلبك، واستعذ بالله من شرها. كما مرَّ معنا أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أَمَرَنا بالاستعاذة مِن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يستعيذ بالله من الفتن.

---

(1) أخرجه البخاري ( 3602) في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوَّة في الإسلام. ومسلم (1847) في كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(2) إعلام الموقعين: (3/ 13).

❖ **الضابط الخامس عشر: لا تَغتر بزخرفة الفتن، وانظر إلى حقيقتها ببصيرة المؤمن.**

فإنّ أهل الفتن يُزخرفونها ويُجمِّلونها كما تُجمَّل العروس؛ حتى تَرُوج بين الناس، حتى يَظُنّ الناظر إليها النظرةَ العَجلى أنها الخير كله، وفيها الشر كله، فلا تَغتر بها، وانظر إليها ببصيرة المؤمن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "الدجال أَكْذَب خَلْق الله؛ مع أنّ الله يُجري على يَديه أمورًا هائلةً ومَخاريق مُزلِزلة؛ حتى أنّ مَن رآه افتَتن به، فيَكشفُها الله للمؤمن؛ حتى يَعتقد كَذِبَها وبطلانها"؛ الدجال معه ما يُزخرِف فتنته -كما مرَّ معنا- لكنّ المؤمن الذي ينظر إليه ببصيرة المؤمن؛ ينكشف له حال الدجال.

وقال شيخ الإسلام في قاعدةٍ شريفة -يا إخوة؛ اسمعوها وانتبهوا لها-: "قد اتَّفق أهل المعرفة والتَّحقيق أنّ الرَّجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يُتَّبع إلا أن يكون موافقًا لأمر الله ورسوله"؛ الرجل لو رأيناه يطير في الهواء أو يَسير على الماء لا نتَّبعه لذلك؛ إلا إذا رأيناه موافقًا لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

فالناس الذين يأتون ويقولون: هؤلاء أهل بركة، أهل خير، مشت سيارتهم بدون بنزين، وضعوا الماء مشت السيارة، هؤلاء أهل كرامات نتّبعهم! هذه ليست قاعدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: " قد اتَّفق أهل المعرفة والتَّحقيق أنّ الرّجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يُتَّبع إلا أن يكون موافقًا لأمر الله ورسوله، ومَن رأى مِن رَجُلٍ مُكاشَفةً أو تأثيرًا فاتَّبَعه في خلاف الكتاب والسنة؛ كان مِن جنس أتباع الدجال؛ فإنّ الدجال يقول للسماء: أمطري؛ فتُمطِر، ويقول للأرض: أنبتي؛ فتُنبِت، ويقول للخَرِبَة: أخرجي كنوزك؛ فتخرِج معه كنوز الذهب والفضة، ويَقتل رجلًا ثم يأمره أن يقوم فيقوم، وهو مع هذا كافرٌ ملعون"[1] اهـ.

(1) الفتاوى الكبرى.

وقد ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في ضمن الكلام: أنّ مَن يتقرَّبون إلى الشيطان بمخالفة السنة؛ قد يَغُرُّ الشيطانُ الناسَ بهم؛ فيطير بالواحد منهم، والذي طار الشيطان به، قال: "وقد يَجعلُ الماء له في الإناء من الهواء"؛ يصبُّ له الماء ويُخيَّل للناس أنّ الماء مِن الهواء؛ مِن أجل أن يَغترّ الناس بهذه البدعة أو بهذا الشر؛ فيقعوا في هذا الشر.

ولذلك يا إخوة؛ أهل السنة والجماعة يؤمنون بكرامات أهل الإيمان، بكرامات أولياء الله ويذكرون لها ضوابط؛ أهم الضوابط: أن يكون صاحب هذا الأمر موافقًا للكتاب والسنة، أمّا إذا كان يخالف الكتاب والسنة ويقول هذه كرامة؛ هذه من مخارِيق الشيطان، هذا ضابط عند أهل السنة والجماعة: مَن ادَّعى خارقا إن كان موافقا للكتاب والسنة؛ فهذا مِن كرامات الأولياء.

مع العلم أنّ الوليّ الصالح لا يدَّعي الكرامة؛ بل يخاف منها، يخاف أن تكون استدراجًا، ويَحرص على أن يَسترها، وإن كان الذي يدَّعي على خلاف الكتاب والسنة لو رأيناه بأمّ أعيننا – ليستْ دعوى– نَعلم أنّ هذه مِن مخاريق الشيطان، ولا يكون ذلك سببًا لاتِّباعه.

❖ **الضابط السادس عشر: إحذر الغلو، والزم الاعتدال.**

فإنّ الغلو في كلِّ شيءٍ شر، والاعتدال خير، قال النبي –صلى الله عليه وسلم: «القَصْدَ القَصْدَ تَبلغوا» رواه البخاري ومسلم. وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: «إياكم والغُلو، فإنما أَهْلَكَ مَن قَبْلَكم الغُلو» رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وصحَّحه النووي.

وهذا أمرٌ يحتاج إلى بسط؛ لكن هذا يكفي: احذر الغلو والزم الاعتدال. فإذا رأيتَ قومًا أهل غلوٍّ فاحذرهم والزم الاعتدال. والاعتدال إنما تَحقَّق في أهل السنة؛ فأهل السنة أهل وسط بين الغلاة والجُفاة.

❖ **الضابط السابع عشر: إحذر العقوق، وأدِّ الحقوق.**

العُقوق: هو قَطْعُ الحقّ، فكلُّ مَن قطع حقًّا عليه فهو عاقّ، فأدِّ الحقوقَ بأنواعها؛

- رأسها: حقُّ الله؛ وأصله: التوحيد، واتّباع ما جاء في الوحي.
- وأدِّ حقَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ومِن حقِّه: أن تتَّبعه ولا تُعرِض عنه مِن أجل غيره، مِن حقِّه: أن تتَّبعه؛ فإذا جاءتِ السنة فرِحْتَ بها ولو قال شيخُك خلافها.
- ومنه أداء حقوقِ وُلاة الأمر؛ مِن العلماء والحكَّام، فتؤدِّي حقّ ولاة الأمر فيما لهم من طاعةٍ في غير معصية الله.

وإيّاك أن تَقطع الحقوق؛ فإنّ قطع الحقوق مِن أعظم أسباب الوقوع في الفتن بأنواعها.

ولا تَجعل أداءكَ للحقوقِ مُعاوَضة؛ إنْ أُحسِن أَحسنت! لا؛ وإنما اجعل أداءك للحقوق عبادةً تتقرَّب بها إلى الله.

وقد قام رجلٌ -كما في الصحيح- وقال: يارسول الله! أرأيتَ إن قامتْ علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرَض عنه، فسأله الثانية، فأعرَض عنه، فسأله الثالثة، فقال: «اسمعوا وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم»؛ أنتَ عليك ما حُمِّلت من أداء الحقوق، وعليهم ما حُمِّلوا، والكلُّ مسئولٌ بين يدي الله.

فمن أعظم الضوابط في الفتن: أن تحرص على أداء الحقوق وأن تحذر العقوق.

الضابط الذي أَختم به -وقد مرّ معنا-:

❖ **الضابط الثامن عشر: إحذر قِصَرَ النَّظر، واعرِفِ الحقَّ بأصله وأثره.**

فالعلماء يقولون: الحقُّ لا يكون حقًّا إلا إذا كان حقًّا في أصله حقًّا في أثره. فيكون حقًّا في أصله وحقًّا في أثره؛ فلا يَنتُجُ عنه إلا خير.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقٌّ في أصله؛ لكنه لا يكون حقًّا حتى يكون حقًّا في أثره أيضًا.

فلو وجدتَ رجلًا يَشرب الخمر لو أنكرتَ عليه تَعلَمُ مِن حاله أنه يَذهب فيقتل مسلمًا؛ إنكاركَ عليه باطل وليس حقًّا.

وأنتم تعرفون قصة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع أصحابه؛ عندما مرّوا بقومٍ مِن التتر يشربون الخمر، قال: "فأنكرَ عليهم بعض أصحابي فأنكرتُ على الذي أَنْكر" فلمّا قيل له، قال: "إنك لو أنكرتَ عليهم لذهبوا يُقتِّلون المسلمين ويَنتهكون أعراضهم".

وذكر شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنك لو رأيتَ رجلًا يقرأ في كتب الشهوات مثلًا وعلمتَ منه أنك لو أنكرتَ عليه لَذهب يقرأ في كتب الشبهات والكفر؛ فإنه لا يجوز لك أن تُنكِر عليه.

إذن يا إخوة؛ الحقُّ لا يكون حقًّا إلا إذا كان حقًّا في أصله حقًّا في أثره.

وليس كلُّ ما علِمتَه تقوله؛ بل حتى تَتبصَّر فيه؛ ما أثره؟ وقد يُترَك الحقّ إلى حقٍّ آخر إذا كان يترتَّب عليه مَفسدة.

ولذلك؛ مِن الأمور العظيمة قول بعضهم: "كُن في الحقِّ حبلًا يَجمَع، ولا تكن سيفًا يَقطع"، إذا رأيتَ قومًا مجتمعِين على السنة فاحرص على أن تكون حبلًا يزيدهم اجتماعًا، وإياك أن تكون سيفًا بلسانك يُقطِّعهم. نعم؛ قد تَعلَمُ حقًّا لكن إذا كان يُفرِّق أهل السنة ويُقطِّعهم ويُمزِّقهم فلا تُشِعه حتى تَرجع إلى العلماء ويَتبيَّن لك الخير.

هناك ضوابط أخرى يَضيق الوقت عن سَردِها، وقد طويتُ بعض التفصيلات لرغبتي في أن أذكر ما أتمكن منه من هذه الضوابط. ونسأل الله عز وجل أن ييسر لنا محاضرة نَبسُط فيها هذا الأمر، لعظيم فائدته وعظيم أثره.

وبعدُ أيها الإخوة؛ فهذه دروسٌ عقدناها في مسجد حبيبنا ورسولنا صلى الله عليه وسلم، قد اجتهدتُ فيها على ما يُبرئ الذِّمة ويَنفع الأمَّة، وقد حرصتُ فيها على المراجعة لكلام أهل التحقيق، وقد أَرجِع في درس اليوم الواحد إلى ما يزيد عن مئة كتابٍ أو أكثر؛ رغبةً في أن لا نقول في المجلس إلا حقًّا، ينتفع به السامع ومَن وراءه.

ونسأل الله -عز وجل- أن يَكتب لنا ولمَن حضر معنا ولمَن يَسمع دروسنا الأجر والثواب، وأن يَجعل في ذلك نفعًا عظيمًا لنا، وأسأل الله -عز وجل- أن يجزي مَن تسبَّب في هذه الدروس خير الجزاء، وأسأل الله -عز وجل- أن يجزي القائمين على شؤون المسجد النبوي خير الجزاء على ما كان لهم مِن فضلٍ -بعد فضل الله سبحانه وتعالى- في إقامة هذه الدروس، وأسأل الله -عز وجل- أن يجعل اجتماعنا اجتماعًا مرحومًا وأن يَجعل تفرُّقنا بعده تفرّقًا معصومًا.

والله أعلم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.